

الحجاز قبل الحرب العالمية الأولى

تأليف : ديفيد جورج هوجارت

الناشر : مطابع أويندر ، كمبريدج ، ١٩٧٨ .

مراجعة : د. علي محمود عطية

كتاب « **الحجاز قبل الحرب العالمية الأولى** » كتاب كبير القيمة من الناحيتين الجغرافية والتاريخية . ويستمد هذا الكتاب أهمية لا لكونه اثرا وثائقيا فحسب كما سنتحدث عنه ادناه — ولكن لكونه — ايضا — اثرا نفسيا في فرع هام من فروع الجغرافية الا وهي الجغرافية السياسية Geopolitics ونعني بالجغرافية السياسية تأثيرات الجغرافية العامة بمعناها الواسع : سطحا ومناخا وموقعا وبشرا ومدنا على الموقف او القرار السياسي او العسكري في بلد بعينه . وحقيقة الامر ان الكتاب — موضوع الدراسة — الف ابتداء من اجل غرض سياسي ، قوامه عرض سياسي وعسكري للحجاز ، غايته توظيف هذه البلاد ، ملكا واسرة هاشمية وشعبا (مدنيا وبدويا) لجهودات الحرب البريطانية اثناء الحرب العالمية الأولى . فهو لا يعدو ان يكون — وكما يقول كاتب مقدمته — « **كتاب دليل الحجاز** » The Handbook Of Hijaz كان محاولة لجمع كل ما هو معروف عن مسرح حرب كانت تتزايد أهميته يوما بعد يوم في مجلد واحد — وقد اعد للاستعمال الداخلي للمكتب العربي Arab Bureau ، الذي كان اضافة الى دوره في المخابرات عن المنطقة ، مشغولا بصورة نشطة في ارسال امدادات عسكرية لثورة شريف مكة ضد الاتراك . وقد ارسلت منه نسخ الى مركز القيادة الرئيسي G. H. Q في القاهرة والى وزارة الخارجية من اجل الاسهام في متابعة التقارير عن الاماكن والاشخاص كما ترد تباعا .

المؤلف الرئيسي لهذا الكتاب هو اللفتنانت كوماندير د. د. هوجارت (١٨٦٢—١٩٢٧) . وهو شخصية يلفها الغموض ، يشبهها مقدم الكتاب ر. ل. بدول ، باحدى شخصيات المؤلف الروائي الانجليزي بوكان Buchan وكان على علاقة وطيدة ، وان كانت غير رسمية ، بالاستخبارات البريطانية . ومهما يكن من امره ، فقد عمل هو جارت عالما للآثار ، وقام بدءا من عام ١٨٨٠

بسلسلة من الرحلات الى آسيا الصغرى (مركز الدولة العثمانية) والى تلك الاجزاء من البلاد العربية ، التي كانت خاضعة للدولة العثمانية مثل سوريا .

اتاحت صفة هوجارث هذه ، كرحالة وعالم آثار ، ذي صلة وطيدة باجهزة الحكم البريطانية ، ان يجمع مادة مصدريه اتت من معاناته المباشرة ، ومشاهداته الملموسة للأشياء ، ومن هنا نبعت القيمة الوثائقية العظيمة لهذا الاثر الذي ندرسه . فهناك مادة اولية مستمدة من دائرة الاستخبارات التابعة للادميرالية البحرية البريطانية ، كما انه اعتمد على مصادر عربية محلية . والنسخة التي بين ايدينا ، وتقع في ١٥٥ صفحة من الحجم المتوسط ، (وهي الطبعة الثانية للكتاب) تعتمد اعتمادا كبيرا على روايات وتقارير الاشخاص الذين اتصلوا اتصالا مباشرا بالاحداث والناس وكانوا على اتصال ، بصورة خاصة ، بالمجتمع العربي بالحجاز .

ولعل مما يكسب الكتاب قيمة اضافية في توثيقه Documentation

انه لم يكتف بالمصادر الرسمية ، وروايات والتقارير المباشرة للأشخاص عما شاهدوه ولمسوه واكتشفوه . بل ان الكتاب تميز ايضا بالشمولية واستوعب كاتبه كل ما كتب قبله عن ادب الرحلات الى شبه الجزيرة العربية . فقد كتب الكاتب ، فضلا عن هذا الكتاب كتابا اسماه « **اختراق الجزيرة العربية** » في عام ١٩٠٤ . ومن هنا فان The Penetration Of Arabia القارئ الفاحص المدقق ، يلمس في كتاب « **دليل الحجاز او الحجاز قبل الحرب العالمية الاولى** » اصواتا مألوفة لجميع الرحالة والبحاثه الاوربيين ، الذين تحدثوا عن الجزيرة العربية ، ووصفوها من زوايا متعددة . وهنا نجد الرحالة الانجلو سكسوني جوهان لودفيج بوركاردت ، والهولندي سنوك هور جرونجي ، وسير رتشارد بيرتون ، وآرثر ويفل ، ودوتي ، ودوجلاس كراثورز وكارلو جوارنامي .

وتتكرر هذه الاصوات المألوفة في كتاب هوجارث ونجد صداها في تقاريره الشيقة عن الشخصيات العربية . وهنا نجد بصورة خاصة اصدااء رونالد ستورز ، وت.ى. لورنس وتقرأ فيه مثلا عن فيصل بن الحسين ما تقرأه عنه في « **اعمدة الحكمة السبعة** » .

وقد انعكس اثر هذا التوثيق الدقيق على موضوعات الكتاب التي عالجت جوانب كثيرة منها : الموقع والتضاريس والسكان والتقسيمات الادارية وحياة البدو والحياة السياسية والاشخاص والحج والتجارة والصناعة والمواصلات والطرق .

ولما لم يكن من شأننا ، كما انه ليس في مكنتنا ، ان نتحدث عن هذه النواحي جميعها في هذه الدراسة الناقدة للكتاب ، فاننا سنقتصر على ابرز الجوانب التي

عالمها ، والتي اكسبته تسماته ، وملامحه المميزة .

في الجغرافية الطبيعية والبشرية للحجاز يتحدث المؤلف عن الحجاز :
موقعه وحدوده ومناخه . ويستولى الحديث عن المدن الثلاث الرئيسية في الحجاز ،
مكة والمدينة والطائف ، على اهتمام كبير . ويقف المؤلف عند هذه المدن الثلاث
وقفه او وقفات خاصة ، فيصف مكة والمدينة بانهما مدينتان عالميتان
Cosmopolitan . ومكة كما يصفها — وكما هي الحقيقة — مدينة
جرداء قاحلة غير ذي زرع ، تشتد حرارتها في الصيف آنا حتى كأنها تنور يفور .
اما المدينة فهي — على العكس من مكة — أرض ذات زرع وخصب ، فيها ١٣٩
نوعا من التمور . وما الطائف الا مدينة محبوبة ، اكثر جمالا والطف مناخا .
واكثرها نعيما ورغد عيش . وتشكل هذه المدن الثلاث العمود الفقري للجغرافية
البشرية لسكان الحجاز بينما يشكل البدو — بالمقابل — القسم الاهم الباقي
لهذه الجغرافية . والبدو هم الذين يأخذون من الكاتب — شأنه في ذلك شأن
الرحالة الاوربيين جميعا — اهتماما عظيما ، رغم ان حياتهم كما يصفها الكاتب
نفسه هي الاسوا ، وبخاصة اذا ما قورنت بحياة المدن التي يعتبرها الافضل
والاحسن .

يتحدث الكاتب عن حياة البدو قبيلة قبيلة . ويطيل في ذكر القبائل — في
اول اثر من نوعه ، على حد علم كاتب هذه السطور ، فهو يذكر قبيلة **الحويطات**
التي اكتسبت شهرة خاصة في الثورة العربية الكبرى ، من خلال دور زعيمها ،
عودة ابو تايه . كما يذكر **بني عطية** ، و**قبائل بيلي وجهينة وحرب وعتيبة** ،
ويعتبر هذه الاخيرة اقوى القبائل في وسط شبه الجزيرة . كما انه يتحدث عن
اعرق هذه القبائل جميعها وأصلها محتداوشرما ، وهي قبيلة **الاشراف** ، التي
ينتسب اليها حكام مكة ، ومنهم في هذه الفترة ، **الشريف حسين** . وحديث الكاتب
عن هذه القبائل ، التي يعتبر الفقر معضلتها الاساسية ، حديث مسيس ، ان
صح لنا القول ، وهذا التسييس ينبع من ويرتكز على ناحيتين اساسيتين : الناحية
الاولى هي دور هذه القبائل في حماية خط حديد الحجاز الذي هو احد
الموضوعات المحورية في الكتاب ، واحتل من السياسة الانجليزية في نهاية القرن
التاسع عشر واولائل القرن العشرين اهتماما كبيرا ، وذلك باعتباره تهديدا
خطيرا للاستراتيجية البريطانية نظرا لكونه احد مظاهر سياسة الزحف الالماني
نحو الشرق Drang Hach Osten . وما يستتبع هذه السياسة من خطر
على الممرات والمعابر البريطانية الى الهند . وعلى هذا فان الكاتب يستغرق
جهدا كبيرا في الحديث عن هذا الخط ، في مواقع متفرقة من كتابه ، وحديثه في
الغالب مقرون بدور البدو الجذري في التحكم بهذا الخط حفاظا عليه او تخريبا له .

والناحية الثانية ، هي الموقف السياسي ، والاستراتيجي لهذه القبائل وشيوخها ، وولاءاتها الثابتة ، او المتذبذبة ، وبصورة خاصة نحو مراكز القوى الثلاث في الحجاز في هذه الفترة : **قوة بريطانيا المتصاعدة ، وقوة الشريف حسين** التي تحاول الانفكاك من السيطرة العثمانية . والقوة الثالثة هي القوة التاريخية الغاربية ، الدولة العثمانية . ويأتي الكاتب هنا — اى عن البدو — بمادة مصدرية ممتازة ، ينفرد بكثير منها بين المراجع جميعها .

وهذا الحديث عن القبائل يقودنا الى حديث الكاتب عن الجغرافية السياسية للحجاز ، وهنا يتحدث الكاتب عن علاقة الحجاز الولاية العثمانية بالسلطان العثماني ، ودور الشريف حسين في اطلالته الجديدة ، وتطلعه نحو الاستقلال الكامل بشئون هذه الولاية . فهو يحاول احكام قبضته — من موقعه كأمير وحاكم ذي طابع قبلي — على المدن والمقاطعات والقبائل المختلفة ، وسط محاولات مماثلة من العثمانيين ان يبسطوا نفوذهم ، ويثبتوا قبضتهم الى اطول مدن ممكن . وهنا يتدخل الانجليز لتوظيف هذا التناقض المحلي (الشريفى) — العثماني لصالحهم . والكتاب في حقيقة الامر ، وفي جزء كبير منه ، هو وصف لحسم هذا التناقض لصالح بريطانيا . فقوة الشريف المتنامية تجد عطفًا وتعاطفًا خاصين من بريطانيا ومن نقطة الضعف الاساسية والشرح الجذري الذي ولده هذا التناقض في الجبهة العربية الاسلامية — عربا وأتراك — يكون النفوذ او الاختراق البريطاني . وعليه تعرف بريطانيا كيف يكون لها نصيب الاسد في هذا الصراع ، وتنجح في توظيف الموقف العربي لصالحها ، بعد ان توهم الشريف حسين بأنها جادة في رعاية طموحاته في الاستقلال ليس في الحجاز فقط وانما في البلاد العربية قاطبة في آسيا ، من مرسين واضنة في تركيا الى عدن في جنوب شبه الجزيرة .

ومما له علاقة وطيدة بالجغرافية السياسية للحجاز حديث الكاتب عن الشخصيات الفاعلة والمؤثرة في الخريطة السياسية للحجاز ، حديثا وافيًا ضافيا يكشف المواقف المختلفة لهؤلاء الاشخاص واتجاهاتهم . ويشمل هذا الحديث ، فيما يشمل ، الشريف حسين وابناءه الثلاثة المشهورين : فيصل وعبد الله وعلي ، مرورًا بكبار اسرة الاشراف الى غيرهم من علية القوم ممن يشكلون مفاتيح اساسية ، في مواقعهم المختلفة على اللوحة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتنبع اهميتهم من منصب معين في رئاسة قبيلة او ثراء او ثقافة او غيرها . وحديث الكاتب عن هذه النخبة يتناولها — كما تتناول التقارير السرية البريطانية عادة — من نواح عديدة : الملامح الجسدية او البدنية ، لون العينين ، والقامة ، ولون البشرة ، واللباس والقسمات النفسية وطريقة التفكير والولاء نحو احدى القوى الثلاث المؤثرة ، والتي اشرنا اليها آنفا ، بريطانيا والشريف

حسين وتركيا . كما انه لا ينسى ان ينفذ الى نواحي القوة والضعف في هذه الشخصيات وعلى هذا فهو يتناولها بابعادها المختلفة ، فيرسم لها لوحة تكاد تكون كاملة ، الامر الذي يشكل رصيذا كبيرا في تفسير تطور الاحداث في هذه الفترة لما لهذه النخبة من دور كبير في رسم صورة هذه الاحداث . وفي علم كاتب هذه السطور فان ما كتب عن الاشخاص في كتاب هوجارث كتابة سياسية هادفة كاشفة من اكثر ما كتب — نسبيا — عن الاشخاص كما وكيفا في السجلات العامة البريطانية P. R. O. وهذا ان كان يدل على شيء فانما يدل على اهمية المرحلة التي كتبت هذه التقارير من خلالها . ومن مجمل المواقف المختلفة لهؤلاء الاشخاص ومواقفهم الثابتة او المتغيرة والمتذبذبة كان بإمكان السلطات البريطانية — اضافة الى المعطيات الاخرى — صناعة القرار السياسي وتحديد الموقف اللازم .

ومهما يكن من الامر فان هذه التقارير عن الاشخاص رغم ما يشوبها عادة من تحامل وتضليل لا تخلو من صدق — ان صح لنا القول — ومن جمال . ذلكم الصدق والجمال الذي هو اقرب للفن واكبر من مجرد تقرير سياسي ، والذي يذكر قارئه بفن التشخيص (اى الكتابة ورسم الاشخاص) ونلمسه لدى كبار الروائيين في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في الادب القصصي الغربي . وليس هذا الامر بمستغرب ، فان فهم الاشخاص لا يحتاج الى عين عادية فقط لمعرفةهم ، بل يحتاج الى فراسة ناقبة واستبطان دقيق لا يستطيعها الا عالم خبير ، او امرؤ كبير الذكاء او فنان . ولعله من هنا عمدت بريطانيا الى توظيف اصحاب العقول والمقدرة الفنية الكبيرة لمهامها الدبلوماسية والاستخبارية التجسسية . ولعل ما نذهب اليه من صفة الصدق في هذه التقارير يجيء من كون ما ذكر عن الاشخاص لا يتضارب مع ما ذكر في اكثر المصادر البريطانية بل يتواتر . فتقرير هوجارث عن فيصل بن الحسين شبيهه بتقرير ت. بى. لورنس عنه . كما ان تقرير هذين لا يتعارض مع ما عبر اليينا عن فيصل وما ألف عنه من كتب فيما بعد .

يصف الكتاب فيصل بهذه السطور التي تشهد بالاصالة والصدق . فهو حاكم الحالين ، ولديه المقدرة على تحقيق هذه الاحلام . رومانطقي على الرغم من واقعيته ، ومن حيث الجاذبية الملحة (الكاريسما) فهو معبود الجماهير . دعونا نتأمل هذه السطور : « فيصل طَوَّال . مهيب رائع ، عظيم القوة ، لا يقر ولا يهدأ ، وهو — اكثر تأثرا واثرا من سائر اخوانه . وهو يدرك هذه الحقيقة ويراهن عليها .. يبدو كأوربي .. ولديه جاذبية شخصية وحيوية ذاتية تفوق بدرجات ما لدى اخوته منهما ، ولكنه مع ذلك اقل حكمة . وعلى ما يظهر فهو شديد الذكاء ، مندفع عندما يحزبه امر من الامور . وهو معبود للجماهير ، مليء

بالاحلام والمقدرة على تحقيقها . تضاف الى ذلك دراسة شخصية ثابتة ، وكفاءة كبيرة في العمل .. ميل الى احتقار التفاصيل والجزئيات .. كتلة من الاعصاب .. وله تأثير ونفوذ واسع على البدو بوجه عام . وهو ذو شعبية كبيرة في سوريا وما بين النهرين » وهذه اللوحة النابغة العجيبة عن فيصل والتي تتناول ادق الدقائق وتتطرق الى الظلال الواضحة ، والباهتة في الشخصية ، امر يطرد لسائر الشخصيات ، ولو ان وصف شخصية فيصل ، بالذات ، فيه توفيق كبير لعله مستمد من روعة الشخصيات نفسها .

وعلى اية حال فان التقرير عن الشريف حسين امر يستأثر — ايضا — بالاهتمام ويستوقف النظر . « ذو لحية كثة ، ليست طويلة ، رمادية ويميل الى البياض .. يداه طويلتان وقويتان واصابعه ذات اطراف مربعة ، تشبه اصابع موسيقي » وهو من حيث الملامح النفسية والشخصية ، بعيد الغور ، مفرط الذكاء « جم الادب والحصافة ، لدرجة توحي بأنه ضعيف ، ولكن هذا المظهر يخفي وراءه مقدرة سياسية كبيرة وطموحات واسعة وبعد نظر ليس من شيمة العرب (كذا) ولديه — الى هذا — قوة في الخلق وعزيمة واصرار » .

وصورة الامير عبد الله بن الحسين ، من الصور التي لا تتناقض مع ما اثر عن هذه الشخصية ، وصدفته الوقائع اللاحقة ، فهو ايضا طموح كبير ، يشرب الى تسلم سدة الخلافة الاسلامية ، على عكس ما هو معروف في المراجع الاخرى ، من ان هذا الطموح الى الخلافة ، تفرد به الشريف حسين ، وعمل له ، باعتباره شيخ الاسرة . والى هذا فان تقارير هوجارث تصف عبد الله بأن قدراته العقلية لا تناسب او توازي طموحاته . وكل ما يتميز به هو تأثيره — الحافز — على والده .

ومهما يكن من امر ففضلا عن حديثه عن الشخصيات الثلاثة البارزة التي مرت ، فان الكاتب يقف عند شخصيات اخرى ، اقل شأنا ، ويضعها تحت عدسته ، وتصف ريشته ما تميزت به ايضا . فمن بينها المتعلم والمترن والثقة وذو الارومة الطيبة . والحكيم والفاعل المؤثر وذو النفوذ الخ . ومن بين هؤلاء فوزي البكري الذي ينتسب الى ابي بكر الصديق ، والذي هجر اهله وولده وبلده دمشق ولجأ الى الحجاز ليسهم في الثورة العربية ، تحدوه آمال عظيمة في الوحدة والتحرير . وكذلك فؤاد الخطيب محرر القبله — جريدة الشريف — الذي يهاجر من السودان ، ويمتاز بثقافة ومقدرة كبيرة على الكتابة السياسية . كما ان من بينها ، على الجانب الآخر ، المتقلب والسهمسار والمتذبذب الذي يأكل على المائدتين او الثلاث : العثمانية والانجليزية والشريفية . كما ان من بين هذه الفئة الثانية المتآمر والمريض بامراض مشينة .

ولعل في دراسة هذه الشخصيات دراسة تحليلية ناقدة ، مؤشرات صادقة على مجمل الموقف السياسي الذي آذن أو كان يؤذن بالتحول التدريجي عن العثمانيين الى الانجليز بفضل جهود الشريف حسين الذي كان له دور العامل المساعد الذي يستطيع الترجيح . وقد كانت سمة هذه التقارير الاخرى انها تقارير لم تكتب من اجل ان تكون — وكما اصبحت مادة مصدرة تاريخية وسياسية ، سمة يجد فيها الباحث منجها كبيرا للمعلومات غير المعروفة . ان سمة هذه التقارير الاخرى انها اوراق عمل — ان صح القول — وزيادة تقرب الصديق ، او كسب العدو الى صفها . . وهكذا ، ومن هنا فاننا لا نجد في كثير منها موقفا ثابتا للذين تتناولهم عن الاشخاص . بل نجد ان كثيرا منهم يتحولون عن العداء الى بريطانيا الى الحياد او الى صداقتها او صداقة حليفها الشريف حسين . ولو اننا نلمس من الناحية الاخرى جهدا مقابلا للعثمانيين يحاول المحافظة على ولاء الاولياء ، او استنقاذهم من تأثير الاغراء البريطاني ، وفي كل هذا كان — كما هو العادة في العالم التحتي للسياسة والدبلوماسية — للاصفر الرنان دوره المؤثر والخطير .

بعد تقاريره الوافية عن الشخصيات يتطرق الكاتب للحديث عن الحج وارتباطاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وحديثه عن الحج حديث من الخارج اكثر مما هو حديث من الداخل ، ان صح القول . فموقفه عن الحج ، هذه الشعيرة المقدسة ، موقف الناقد ، ان لم نقل المتحامل ، اكثر من المتعاطف . ولعله لا يرى في الحج الا موسما يبتز منه اهل الحجاز ضيوفهم من الحجيج . كما ان القبائل كثيرا ما غزت الحجيج ، فغررت بهم او نكلت بهم تنكيلا وسلبتهم واهلكت الارواح او الاوال . وما موسم الحج في نظر الكاتب الا موسم الاوبئة والطواعين . يقول : « غالب الامر ، فان الوباء او العدوى تتولد من عفونة الاضحيات في منى ، او انها تنجم عن مياه زمزم المقدسة ، وغير الصحية ، او يجلبها دنس وقذارة قناة مكة الرئيسية ، وذلك من خلال الوف الحجاج الذين يكونون قد استحموا بهذه القناة في يوم عرفه » . والحاج في نظره انسان بانس تهزم نشوته الروحية وسط تلك الامراض البدنية القاتلة ، والتي لا تمهله من امره ، وتقضي عليه وهو في نشوته فلا يعود الى اهله بل يهلك على الطريق وسط عطر الروح الذي يتضوع . « والحاج الذي في غالب امره يطعم في طريق عودته — جزيرة كرانه او في الطور اواية محطة برية — غالبا ما يلاقي حتفه وهو يتضمخ بعطر قداسته قبل ان يصل الى بلده ! »

ويختتم الكاتب كتابه بفهرست لعله من اجدى النواحي المنيرة فيه من ناحية عمله . وهو يبين بصورة تفصيلية الطرق المختلفة في الحجاز ويتحدث عن الطرق الرئيسية التي تصل بين المدن الرئيسية والفرعية وتقرعات هذه

الطرق وما يكتنفها من محطات ومعالم رئيسية ، من تضاريس ومياه وغيرها ، وما يصيبها من تغير . ويتحدث عنها حديثا دقيقا يفيد الرحالة فائدة جلية ، ويمكن الاستفادة منه لاغراض استراتيجية وعسكرية . فضلا عن كونه مادة جغرافية جيدة .

ومهما يكن من أمر فان حديث المؤلف عن موضوعات كتابه المختلفة ، لا يزيد عن غيره من كتب الرحالة ، والتي تحاول ان تضع صورة الشرقي او العربي مقابل صورة الغربي ، او لعله على الاصح رسم صورة Image للعرب من خلال ريشة اوروبية . وهنا تبدو الصورة العربية صورة معاكسة للصورة الغربية . ومن هذا التناقض في الصورتين تبدو في صورة العربي معالم التخلف وانعدام الضوابط القانونية ، وسيطرة العدوان والسلب والنهب ، وتبدو هذه المعالم واضحة عندما يتحدث عن شريحة اساسية في الجزيرة العربية هي البدو . كما ان هذه النظرة لا تبرأ مما يظهر ايضا به الرجل الغربي السوبرمان لقوم من المتخلفين البرابرة .

ثم ان هذا الكتاب الذي كتب اصلا بهدف سياسي — كما ذكرنا — لم يتح له ان يتحدث عن القضايا المختلفة من وجهة نظر عريضة ، بل تحددت منطلقاته ، واقتصرت على ما هو لصيق فقط بخدمة الاتجاه السياسي والتخطيط الاستراتيجي للاستعمار البريطاني . ومن هنا فان الكتاب — على غزارة ما فيه من معلومات مفيدة واثقانا شائعة — ينقصه الكثير من الموضوعية التي تفترضها طبيعة البحث العلمي المتكامل والمنهجية العلمية التي تدعو الى قول الحقيقة جميعها والتجرب في دراسة الموضوع المدروس . ولعل في هذا تفسير لكون كثير من الموضوعات جاءت مبتورة ، يسودها طابع التقرير السريع ، اكثر من طابع الدراسة الوافية الكافية المستأنية . كما بدا هذا في دراسة الحدود والموقع والمناخ يمسها مسا خفيفا ، بدلا من ان تأخذ ما تستحقه من اهتمام واستفاضة . وعلى اية حال فان هذا الكتاب ان افتقد في عرضه واسلوبه القيمة الموضوعية والشمولية اللازمة ، فانه لم يفتقد القيمة العلمية كمادة مصدرية اساسية ، ذات طابع وثائقي . ومن هنا فانه لاغنى عنه لاي باحث عن فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى ، ولعل هذا الكتاب من اوفى ما كتب حول الحجاز عن تلك الفترة الحاسمة التي اصبحت فيها مكة وشريفها الحسين مهوى افئدة العرب في كل مكان ، وكان للشريف وابناؤه دور تاريخي لاينكر ، ولم يقتصر اثره على الحجاز فقط وانما شمل سائر بلاد العرب في الهلال الخصيب : العراق وبلاد الشام . حقا ان ما تم في الحجاز كان له نتائج مأسوية على الامة العربية فيما تلا هذه الحقبة من عقود خضعت فيه لحروب الاستعمار الانجليزي والفرنسي والصهيوني ، ولكن مع ذلك فاننا لا نملك الا ان ندرس هذه الفترة من مصادرها الاولى حتى يتاح لنا تقويمها والاستفادة منها في حاضرتنا ومستقبلنا . وفي هذا الكتاب فائدة لا شك فيها في هذا المجال لمن اراد .